أثر العبادات الأربع في بناء الشخصية المسلمة

The impact of the four worships in building- the right-personality

أ.م.د. عثمان علي محمد الكريزه يي
Asst.Prof.Dr Othman Ali Mohammed Karizai
جامعة السليمانية / كلية العلوم الإسلامية
University of Sulaimani\ College of Islamic Sciences
E-mail: othman.mohammed@univsul.edu.iq

الكلمات المفتاحية: العبادات، الفقه، الشخصية، المسلمة.

Keywords: impact, worships, building, personality, right.

الملخص

يتناول البحث بيان أثر العبادات في بناء الشخصية المسلمة، خصوصاً الأركان الأربعة: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وذلك من خلال الإشارة إلى شمولية العبادة في الإسلام وتأثيرها على جميع جوانب الحياة وصلاح القلوب والأبدان.

Abstract

The research deals with the statement of the impact of worship in building personality, especially the four pillars: prayer, fasting, zakat, and pilgrimage, by referring to the comprehensiveness of worship in Islam and its impact on all aspects of life and the righteousness of hearts and bodies.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، ثم الصلاة والسلام على أشرف من بعث رحمة للعالمين، الصادق المصدوق بالقول، والقدوة في السيرة والفعل، وعلى آله الطاهرين وأصحابه المكرمين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فالمهمة الأساسية التي خلق الله الثقلين من أجلها هي عبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، لذا فقد فرض الله تعالى على الناس عبادات لها مقاصدها وآثارها في إصلاح الفرد والمجتمع في جميع الجوانب والاعتبارات، هذه العبادات وإن كانت في الأصل شعائر تعبدية محضة، إلا أن العلم بهذه الآثار يزيد القائم بها اطمئناناً لعظم أمرها، وأن الفقه بآثارها يضاعف من ثمارها في نفس فاعلها، ومن هذه العبادات الأركان الأربعة: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، ولما كان أكثر للناس قد غفلوا عن هذا الأمر العظيم، وزيادة في استجلاء تلك الآثار كتبت هذا البحث المتواضع وسميته: "أثر العبادات في بناء الشخصية المسلمة" فأرجو أن أكون قد وفقت في عرضه وبيان أهم جوانبه على الوجه المطلوب وأسأل الله أن يتقبله بقبول حسن وأن ينفع به عموم الأمة.

ويقوم البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي للنصوص الشرعية وأقوال أهل العلم لتلك النصوص، لاسيما المتعلقة في أثر هذه العبادات في بناء الشخصية المسلمة، لم أذكر ترجمة الأعيان المذكورة في البحث خشية الإطالة، وإنما اكتفيت بذكر نسبهم ولقبهم أو كنيتهم ومذهبهم وكذلك سنة وفاتهم في الهامش ، وحرصتُ جاهداً على نقل المعلومات وأقوال العلماء من مصادرها الأصلية ، وعزوتُ الآيات القرآنية إلى سُوَرها وأرقام ، وخرّجتُ الأحاديث من كتب السنة مبتدئا بالصحيحين ثم كتب السنن المشهورة ، والتزمت بمنهجية البحث العلمي المعتمد في المجلات العلمية المحكمة ، واقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، على نحو الآتي:

المبحث الأول: المقاصد الكلية للعبادة وبيان أهميتها وشمولها وأقسامها وشروطها.

المطلب الأول: المقاصد الكلية للعبادة.

المطلب الثاني: شمولية العبادة وأهميتها.

المطلب الثالث: أقسام العبادة.

المطلب الرابع: شروط العبادة.

المبحث الثاني: أثر العبادات الأربع في بناء الشخصية – المسلمة–.

المطلب الأول: أثر الصلاة في بناء الشخصية المسلمة.

المطلب الثاني: أثر الصيام في بناء الشخصية المسلمة.

المطلب الثالث: أثر الزكاة في بناء الشخصية المسلمة.

المطلب الرابع: أثر الحج في بناء الشخصية المسلمة.

الخاتمة: فيها أهم النتائج، التي ظهرت للباحث أثناء إعداد البحث.

فهذا ثمرة جهدي الضعيف، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: المقاصد الكلية للعبادة وبيان أهميتها وشمولها وأقسامها وشروطها.

المطلب الأول: المقاصد الكلية للعبادة.

الأصـــل في العبادات أنها تؤدّى امتثالاً لأمر الله عز وجل، وأداء لحقه على عباده، وشـــكراً على نعمه التي لا تعد ولا تحصـــى، وليس من اللازم أن يكون لهذه العبادات ثمرات ومنافع في حياة الإنســـان المادية، وليس من الضـــروري أن يكون لها حكمة يدركها عقله المحدود، الأصـــل فيها أنها ابتلاء لعبودية الإنســـان لربه، فلا معنى لأن يدرك الســـر في كل تفصيلاتها، فالعبد عبد، والرب رب(١).

إن روح العبادة هو إشـراب القلب حب الله تعالى، وهيبته، وخشـيته، والشـعور الغامر بأنه رب الكون ومليكه، والتوجه دائماً بما شـرع من شـعائر ونسـك، باعتبارها مظهراً عملياً دائماً لصدق الإنسان، في دعوى الإيمان، وتذكيراً مستمراً بسلطان الإله الأعلى، وإلهاباً متجدداً لجذوة اليقين في الله، ورجاء فضله وثوابه(٢).

هذه العبادات وإن كانت في الأصـل شـعائر تعبدية محضـة واجبة الأداء، مهما قصـر إدراك المتعبد بها لمقاصدها وآثارها، التي ربما حصلت له دونما شعور منه، إلا أن العلم بهذه المقاصـد يزيد القائم بها اطمئناناً لعظم أمرها، ومعرفة مقاصـد الأعمال تحرك النشـاط إليها، وتدعو إلى الصبر والمواظبة عليها، وتبعث على إتقانها والإحسان فيها.

ولا نستطيع أن نفصل القول هنا في ذكر كل مقاصد العبادات خوفاً من الإطالة، ولكن يمكن الإشارة إلى بعضها على سبيل الإجمال والاختصار في النقاط التالية:

القيام بواجب العبودية وتحقيقها: ذلك أن الإنسان مخلوق أصالة لعبادة الله سبحانه، كما قال جل ثناؤه: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ ،ومع ذلك يجب أن نعلم أن الله تعالى غني عن العالمين،فالعبادة لا تزيده ولا تنقصـــه مثقال ذرة، لأنه غني بذاته فلا يحتاج إلى شيء مما في الوجود، بل كل ما في الوجود محتاج إليه.

١- حصول التقوى التي هي الحاجز عن وقوع الإنسان في المعاصي:

٢- إظهار التذلل والخضوع والخشوع لله سبحانه.

٣- غفران الذنوب وتكفير السيئات.
٤- الإعانة على أمور الدين والدنيا.
٥- العبادة وسيلة مهمة لشكر النعم.
٦- تربية الروح وتغذيتها.
٧- تحقيق حرية الإنسان.
٨- تمحيص المؤمن بابتلائه بالعبادة إعداداً له للحياة الآخرة.
٩- تذكير الإنسان بربه الأعلى(٣) .

المطلب الثاني: شمولية العبادة وأهميتها.

أولاً: شمولية العبادة:

وهذا موضوع واسع جداً وليس محلاً لبحثنا حتى نستوفى جوانبها، وإنما يهمنا الإشارة والتذكير بها هاهنا فحسب، فالعبادة كما جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكما فهمها خير قرون هذه الأمة تشمل الدين كله وتشمل الحياة كلها، والعبادة في معناها العام تعني السير في الحياة ابتغاء رضوان الله تعالى وفق شريعة الله، فكل عمل يقصد به وجه الله تعالى والقيام بحق الناس استجابة لطلب الله تعالى بإصلاح الأرض ومنع الفساد فيها يعد عبادة وهكذا تتحول أعمال الإنسان مهما حققت له من نفع دنيوي إلى عبادة إذا قصد بها رضاء الله تعالى، ولذلك أثبت ابن تيمية في رسالة العبودية أن الدين كله داخل في العبادة مؤيداً ذلك بالأدلة الشرعية واللغوية، والعبادة على الوجه الصحيح تشمل علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بغيره من البشر، كما تشمل حياة الإنسان في الدنيا والقبر والآخرة.

وليست العبادة في الإسلام عزلة عن الحياة وانقطاعاً عن الناس للقيام ببعض الشعائر كالصلاة والذكر والدعاء، كما يتصور بعض الناس، ويظنون أنهم إذا قاموا بذلك منقطعين مبتعدين عن الحياة والأحياء فهم العباد وأنهم أحباب الله وأنهم للقائمون بحق العبودية لله فهذا مفهوم خاطئ وقاصر للعبادة، وهذه الشعائر المتمثلة في الصلاة والزكاة والصيام والحج والذكر والدعاء نوع من العبادة وليست كل العبادة المطلوبة!، فمفهوم العبادة في الإسلام أشمل وأدق وأعمق من هذا التصور المحدود المعدود، بل العبادة تشمل الدين كله والحياة كلها كما شملت كيان المسلم كله، ظاهره وباطنه، سره وعلانيته، وكذلك شاملة للإنسان بجميع جوانبه: عقله وقلبه، ولسانه وجوارحه، حسه ونفسه، وحتى الأعمال الغريزية يمكن أن تصبح عبادة بالنية الصالحة، ولذلك نجد أن كل الأعمال الصالحة عموماً وإن لم تصطبغ بصبغة تعبدية بحتة يمكن أن تتحول إلى عبادة بإصلاح النية لله تعالى.

لأن الله تعالى لم يطلب من الناس أن يعبدوه بجوارحهم مغفلاً قلوبهم، أو يعبدوه بقلوبهم تاركاً جوارحهم، ولم يطلب منهم أن يتعرفوا إليه في المسجد وينصرفوا عن أمره حين يباشرون أسباب معاشهم، ويتقلبون في حرفهم وتجاراتهم، بل إنه أراد منهم أن تكون عبادتهم بقلوبهم وعقولهم، وألسنتهم وجوارحهم وأن يكون توجههم إليه دائماً على تغاير الأزمنة والأماكن، ومن أجل ذلك ترتبط شمولية العبادة في الإسلام بالإنسان ارتباطًا مباشراً من أجل أن تحقق له توازنه الداخلي والخارجي المنشود.

ومن خلال ما سبق يتبين أن دائرة العمل الصالح واسعة جداً تشمل الدين كله والحياة وما فيها (٤).

ثانياً: أهمية العبادة:

تظهر أهمية العبادة ومكانتها في أنها الغلية التي من أجلها خلق الله تعالى الخلق وأوجده، فقال جل ثناؤه: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ ،وقد بين القرآن الكريم في أكثر من موضع حاجة الإنسان إلى عبادة خالقه وعدم استغنائه عنه البتة، وافتقاره للدائم إليه في كل أوقاته وحالاته، فقال جل وعلا: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ النمل: ٦٢ ،وقال في موضع آخر: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ٦٣، فالآيات دلت دلالة واضحة على افتقار العبد لخالقه، وحاجته الماسة إليه ليجيب دعوة للداعي إذا دعاه، وينفس كربة المكروب إذا استغاثه، ويكشف السوء وحاجتهم إليه أيضاً في الإحياء والرزق والحفظ والأمان، وفي كل شيء، بل هم بحاجة إلى عبادته والإيمان به لأنهم فطروا على ذلك، ففي عبادتهم لله راحتهم والسعادة التي ينشدونها، وفيها يجدون غايتهم التي يصبون إليها، وأمر الشعور بالراحة والسعادة حقيقة أكدها القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨ ،ويقابل ذلك العيشة الضنك لمن خالف أمر خالقه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤ ، وليس هذا فحسب بل للدين كله دلخل في العبادة كما يقول ابن تيمية، واستدل لذلك بحديث جبريل الطويل، والذي جاء فيه: كان النبي – صلى الله عليه وسلم– بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل، فقال: ما الإيمان، قال أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم

رمضان، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك... فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم(٥)، فجعل هذا كله من الإيمان(٦).

وإذا كان الدين هو الإيمان بالله عز وجل وطاعته والخضوع له، فإنه يبدو واضحاً جلياً أن العبادة بمعناها العام تعني الجانب العملي للدين، ولهذا اتفقت دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم على أصل العبادة وأساسها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ الأنبياء: ٢٥،وتبدو أهمية العبادة بارتباطها بالتوحيد التي هي أساس الإيمان بالله سبحانه، وإفراده بالعبودية، ركن من أركان التوحيد في القرءن الكريم والسنة المطهرة وقد دل على ذلك العديد من النصوص منها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ التوبة: ٣١ ،وإذا كان التوحيد هو مدار الإيمان بالله، ومركز قبول الأعمال، فإن العبادة المشروعة هي الصورة العملية لهذا التوحيد(٧).

ولعظم مكانتها فقد وصف الله تعالى أنبيائه ورسله بالعبودية في كثير من المواطن في القرآن، ومنها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧﴾ ص: ١٧ ، وكذلك وصف خاتم أنبيائه محمد- صلى الله عليه وسلم- في مواطن التشريف والتكريم بهذا الوصف الكريم في أعظم مقاملته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ الفرقان: ١، وفي موقف القرب والخصوصية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَآ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ النجم: ٨ – ١٠ ،وعندما تكون العبادة الصحية والخالصة لله سليمة ، فإنها تكون وقاية له من الوقوع في الانحراف والضلال، وهي لستشعارٌ بالقرب والصلة بالله جل جلاله ، ويحصل الإنسان بسببها حرية الرأي والفكر والعقيدة السليمة، وتدفعه إلى القيام بكل عمل مثالي، وتملأ قلبه بالحنان والشفقة والرحمة والإيمان وسائر مكارم الأخلاق (٨).

المطلب الثالث: أقسام العبادة:

قسم العلماء العبادة من حيث عمومها وخصوصها، ومن حيث صحتها وعدمها، ومن حيث تأديتها على عدة أقسام، وهي كما يأتي:

أولاً: من حيث العموم والخصوص:

١- عبودية عامة: وهي عبودية الربوبية، وهذه يشترك فيها كل الخلائق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ مريم: ٩٣ ، يقول ابن القيم: "عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك" (٩).

٢- عبودية خاصة: وهي عبودية الطاعة واتباع أوامر الله تعالى، فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته عبيد إلهيته، ولم يأت في القرآن الكريم إضافة العباد إليه إلا لهؤلاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ الفرقان: ٦٣.

٣- خاصة الخاصة: وهي عبودية الرسل- عليهم السلام-، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥﴾ ص: ٤٥ ،فهذه العبودية المضافة إلى الرسل خاصة، لأنه لا يجاريهم أحد من البشر في عبادتهم(١٠).

ثانياً: من حيث صحتها وعدمها:

١- العبادة المشروعة: وهي العبادة التي جاءت موافقة للشرع، ولها من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم- نصيب، وإنما سميت العبادة عبادة لأنها لم تكن من بدع الإنسان ولا ابتكاره، وإنما أخذت شرعيتها وصفتها وكيفيتها من القرآن وببيان رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

٢- العبادة البدعية: هي العبادة المحدثة التي لم يكن لها في كتاب الله ولا سنة رسوله أصل، فهي عبادة ابتدعها الإنسان من دون ضابط شرعي وهي بذلك غير مشروعة ولا مقبولة، وليس لأحد أن يبتدع عبادة يتعبد بها حتى لو كان بنية التقرب والتعبدية لله تعالى، ومن يفعل ذلك فقد تعدى حدود الله، وعن سيدنا أبي بكر الصديق – رضي الله عنه- أنه قال: "يا رسول الله، علمني دعاء أدعوبه في صلاتي"؛قال: ((قُلِ اللهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيراً... الحديث))(١١)، قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: "فهذا أفضل الخلق بعد الأنبياء، لم يدعُ في صلاته بدعاء حتى سأل النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يعلمه ذلك...، وهؤلاء [أهل البدع] تجد أحدهم يخترع أنواعاً من الأدعية تتضمن طلب نوع من الإلهية أو ما هو من خصائص النبوة فأين هذا من هذا؟!" (١٢).

ثالثاً: أقسامها من حيث الأداء:

تدور العبادة من حيث تأديتها حول ثلاثة أجزاء، وهي: القلب، واللسان، والجوارح.

١- عبادة القلب: هنا لا نقصد القلب الجسماني، وإنما هو كما عرفه الإمام الغزالي رحه الله بقوله: "لطيفة ربانية روحانية؛ لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب"(١٣).

وعبادة القلب: كالمحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والإخلاص والنية وغير ذلك.

٢- عبادة اللسان: كالنطق بالشهادتين، وتلاوة القرآن، والأذكار، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عني المنكر، والمذاكرة في العلم النافع، وغير ذلك كثير.

٣- عبادة الجوارح: المراد بالجوارح هي أجزاء الإنسان وأعضاءه من أطراف وحواس، وعبادات الجوارح كثيرة يصعب حصرها، منها: الصلاة والصوم والحج والجهاد، والمشي إلى الجمعات والجماعات، والمشي لصلة الرحم ونحوه، وعبر بعضهم الحج والزكاة بالعبادات المالية.

وكذلك من حيث وقت الأداء قسمان: مؤقتة، ومطلقة.

رابعاً: من حيث نفعها:

العبادات باعتبار نفعها وأثرها قسمان، هما: عبادة ذاتية أو قاصرة أو لازمة: بحيث لا ينتفع بها غير القائم بها، كالصـــلاة والصـــيام والأذكار، وعبادة متعدية: وهي عبادات متعدية النفع للمجتمع كالزكاة والصدقة ونشر العلم وإطعام الطعام وغيرها(١٤).

المطلب الرابع: شروط العبادة.

العبادة لا تكون صحيحة ولا مقبولة حتى توافر فيها هذه الشروط، وفيما يأتي بيان هذه الشرائط:

الشـــرط الأول: الإســـلام: من المعلوم أن الكافر غير مخاطب بفروع الإســـلام، ومتى أعلن شـــهادة التوحيد يكون مخاطباً ومكلفاً بأداء العبادات، ولهذا قرن الله تعالى الإيمان بالعمل الصـالح، والمقصـود به الإسـلام، وعلى هذا إذا قام شـخص بالعمل وفق الشـرع الإسـلامي من حيث الظاهر لكنه لم يؤمن بالإسـلام ديناً وبمحمد – صـلى الله عليه وسـلم– نبياً ورسـولاً فإن عمله مردود عليه ولا أجر فيه ولا ثواب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ النحل: ٩٧ ، قال الشـــنقيطي: "فقيد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته لأنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح"(١٥).

الشرط الثاني: العقل: العقل واحد من المقاصد الخمسة التي أوجبت الشريعة الإسلامية الحفاظ عليها، وجرمت أي عدوان عليها وفرضـــت على من اعتدى عليه عقوبة، فالعقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يبصر ويصون الضمير ويرشد صاحبه إلى الحقائق وطريق النور ويبعده عن طريق الغواية والشيطان، فكل هذا يؤكد أن الإسلام جعل العقل مناط التكليف، ولهذا الواجبات الشـــرعية لا تترتب إلا على العقلاء،فالمجنون لا تكليف عليه حتى يفيق ولا تصـــح منه العبادة، ولهذا نجد الفقهاء والأصـــوليين قد أجمعوا على عدم صـــحة العبادة من

المجنون، قال الزركشي: "المجنون ليس بمكلف إجماعاً، ويستحيل تكليفه؛ لأنه لا يعقل الأمر والنهي، ولا يبعد من القائلين تكليف ما لا يطاق جواز تكليفه كالغافل"(١٦).

الشرط الثالث: الإخلاص: والإخلاص كما قال ابن القيم: "هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين"(١٧).

ولقد تظافرت أدلة كثيرة على أن الإخلاص من شروط العبادة ولا تصح العبادة إلا به، ومن هذه الأدلة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ الكهف: ١١٠ ،وقال تعالى موضحاً ما أُمر به المؤمنون: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ البينة: ٥ ،وقال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا وَإِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))(١٨).

فهذه الأدلة وغيرها تدل على وجوب إخلاص النية في جميع العبادات، فالإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله إن كان عبادة محضة كالصلاة والصيام والزكاة والحج وقراءة القرآن، وشرط لحصول الثواب إن كان غير ذلك كالأكل والشرب والنوم والكسب ونحو ذلك.

الشرط الرابع: المتابعة وموافقة الشرع: العمل الصالح هو العمل المقبول عند الله تعالى هو الذي يجمع بين شيئين، الأول: أن يكون موافقة للشريعة في سببها وجنسها وقدرها وكيفيتها وزمانها ومكانها، والثاني: أن يكون المقصود به مرضاة الله تعالى وطاعته، فإذا فقد العمل هذين الشيئين أو أحدهما لم يكن مقبولاً عند الله تعالى وبالتالي لا أجر فيه ولا ثواب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ الكهف: ١١٠ ، وقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا، فَهو ردٌّ))(١٩)، ولهذا فلا بد من توفر هذه الشروط في العبادة حتى تكون مقبولة، أما إذا اختل شرط من هذه الشروط فإنها لا تصح ولا تنفع صاحبها(٢٠).

المبحث الثاني: أثر العبادات الأربع في بناء الشخصية – المسلمة –.

المطلب الأول: أثر الصلاة في بناء الشخصية.

الصلاة هي الفريضة الأولى بعد الإيمان بالله ورسوله، وهي عماد الدين، من وفق إليها، وأعين عليها، فهو الموفق السعيد ومن حرم منها فهو الشقي البعيد، والصلاة التي نقصد الحديث عنها هي التي يخشع فيها صاحبها، ويحافظ على شروطها وآدابها، لا يقتصر دورها على أجر يثاب عليه المؤمن، وعذاب ينجو منه، بل لها ثمرات وآثار في إصلاح حياة فاعلها

-على الوجه المطلوب شرعاً- وبناء شخصية صاحبها، وفيما يأتي عرض مجمل لأبرز تلك الآثار التي تؤدي إلى تحقيق ذلك الهدف:

قبل الكلام على أهم تلك الأثار يجب التنبيه هنا إلى أن الصـــلاة المأمور بها العبد هي الصلاة الحق التي استكملت شروطها وأركانها، وعلى ذلك فالصلوات تختلف، فالصلاة عند كثير من للناس لا تتجاوز أن تكون عادة من العادات، وهكذا صـــلاة لا تربي ولا تنهى ولا تردع عن المعاصي!.

١- الراحة النفسية والطمأنينة وعدم ضيق الصدر: الطمأنينة تكون بذكر الله عز وجل كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨، وأي ذكر أعظم من الصلاة، المشتملة على عامة الأذكار وقراءة القرآن والخشوع والإخلاص، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ طه: ١٤ ،فيجد فيها المسلم علاجاً لمشكلاته النفسية، ويتخلى بها هموم الحياة، وقد كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يعتبر الصلاة قرة للعين وراحة للنفس، والصلاة تعالج الفراغ النفسي، لما فيها من كفاية حاجة القلب من محبة الله والتعلق به، وتحقق الراحة بذلك، وضيق الصدر كان بالإعراض عن ذكر الله تعالى، الذي روحه الصلاة، وفقدان أسباب الراحة النفسية المتحققة في الصلاة الخاشعة(٢١).

٢- ترك كافة الفواحش وجميع المنكرات والصفات الذميمة: الصلاة لها أثر بالغ في تطهير الإنسان من الفواحش والمعاصي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥، فالصلاة أساس في كسب مكارم الأخلاق، حتى قيل: كل المشاكل الأخلاقية والسلوكية سببها إهمال الصلاة والتفريط فيها: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ ﴿٥٩﴾ ﴾ مريم: ٥٩ ، وقيل: كيف يوجد فيهم الضعف، وتعصف بهم الكثير من المشاكل وعندهم هذه الصلاة، كيف تضعف أمة عندها هذا الكنز العظيم والسلاح المتين(٢٢).

٣- هي من الوسائل المعينة على تقوية النفس ودفع كيد الشيطان: حين طُرد الشيطان من الجنة أقسم بعزة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ص: ٨٢ – ٨٣ ،استثنى المخلصين؛ لأنه لا يقدر عليهم، وليس له عليهم سلطان كما أخبر الله تعالى بذلك: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الحجر: ٤٢ ، والصلاة الكاملة تحقق الإخلاص الذي يحفظ ويحصن العبد من الشيطان، لأنها تحقق الإخلاص العبودية لله رب العالمين، إذ الصلاة حرزٌ وسياجٌ قويٌ يحفظ ويحمي العبد من كيد الشيطان، فالصلاة عامل رئيس في الإعانة على مخالفة عادات النفس وكشف عوارها وترك هواها، وبمقدار تحقيق هذا في حياة المسلم يكون نجاح شخصيته وهديه وسمته.

٤- من آثارها النجاح والفلاح في الحياة: فقد ربطها الله سبحانه وتعالى بفلاح المسلم الذي ارتقى إلى سلم الإيمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ المؤمنون: ١ – ٢ ، فالفوز والنجاح والسعادة في الدنيا ولآخرة للخاشعين في صلاتهم، والفلاح المقترن بالصلاة فلاح في الدنيا والآخرة، بنيل رضى الله ودخول جنته، وفي الدنيا: لأن الصلاة تكسب صاحبها شخصية إنسانية فاعلة، وتقوم بالقضاء على الأسباب النفسية للكسل والعبث، وهذا الجو الغامر بالحركة والفعل يبعث في الإنسان أقوى مشاعر التحفز إلى العمل والإنتاج.

٥- التربية على الصبر: الصلاة وسيلة فعالة في تحقيق الصبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ المعارج: ١٩ - ٢٣، فهذه الآيات تؤكد أن المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ليسوا من هذا النوع من الناس، بل هم على العكس من ذلك فهم إذا مسهم الشر صبورن، وإذا مسهم الخير شكورون.

٦- القدرة على التركيز: الصلاة تعود صاحبها على التركيز الكامل في أفعال الصلاة أثناء أدائها، وهو ما يسمى الخشوع، ومن أعظم أسرار النجاح في أي عمل هو الإخلاص له والتركيز الكلي فيه، فالمسلم يأخذ كل يوم خمسة دروس في ترسيخ هذا السلوك في شخصيته.

٧- احترام الوقت والالتزام به: كما هو معلوم الصلوات الخمس موزعة على اليوم والليلة توزيعاً تربوياً، فأول الدروس التي يتلقاها المسلم في مدرسة الصلاة النموذجية هي تعلم احترام الوقت والالتزام به، وأولى الصلوات هي صلاة الفجر وهذه بحد ذاتها تعد درساً مهماً في تدريب المسلم على القيام المبكر واستقبال يومه(٢٣).

٨- الصلاة تعمل على تحقيق الأمن الفكري لدى الشخص: لا شك أن الصلاة تعمل على تحقيق الأمن الفكري من خلال مجموعة من الأطر؛ منها ما هو فكري نظري، ومنها ما هو روحي عملي، ولما كانت الصلاة تؤدّى في اليوم والليلة على الأقل خمس مرات، كان لها دور كبير في تحقيق الأمن الفكري من خلال القضاء على الفراغ الوقتي والذهني والروحي، وبهذا تقضي على أهم عوامل الانحراف الفكري وهي العوامل النفسية التي منها الاضطرابات النفسية السلوكية والانفعالية(٢٤).

٩- يحسن أخلاق الفرد مع مجتمعه وينمو عنصر الأخوة: وهذا يتضح ذلك جلياً من خلال تشريع الصلوات الجامعة، من ذلك صلاة الجماعة التي هي اجتماع يومي متكررخمس مرات في اليوم، ومن ثم صلاة الجمعة التي هي تجمع أسبوعي لأهل الحي الواحد، حيث شرع فيها خطبة تذكيرية وتعليمية للمسلمين، وكذلك صلاة العيد مرتين في السنة، هذا ما عدا الصلوات

الجامعة الأخرى التي شرعت في مناسبات معينة، كالاستسقاء والخسوف والكسوف والجنائز والتراويح، إن الصلاة لو وعى المسلمون حقيقتها لهي توجيه وتنظيم اجتماعي كامل(٢٥).

١٠- سبب لتقليل الجرائم والشرور: الصلاة لها أثر بالغ في تقليل الجريمة في المجتمع، وإذا توفرت الشخصية في الشخصية شحنتان من الوعي والشعور، إحداهما طويلة على مدى العمر، والثانية فعلية يومية، والشحنة الأولى هي مجموعة المفاهيم والمشاعر التي تشكل النظرة إلى الكون والحياة، والتي يستجلها الإنسان وينمها ويرسخها في شخصيته، والشحنة الثانية هي مجموعة المفاهيم والمشاعر التي تقدمها الصلاة اليومية، فإذا ما توفر في الإنسان على هاتان الشحنتان فإنه دون شك سيعيش روح المسؤولية والخشية من الله على شكل ملكة في نفسه وطابع في شخصيته، وسيرافق تصرفه شعور الانضباط والوعي إلى درجة كبيرة، أن توزيع الصلاة وتوقيتها والانتظام في الصلاة، تساعد على تقديم شحنة الانضباط وترسيخها في النفس(٢٦).

المطلب الثاني: أثر الصيام في بناء الشخصية.

وقد جعل الله تعالى لكل عبادة منزلة ومكانة خاصــة، ومن أعظم العبادات التي حظيت بهذه المكانة عبادة الصيام إذ حظيت بأن شرفها الله ونسبها إلى نفسه فقال في الحديث القدسي: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّـوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ))(٢٧)، وهو بذلك قد بلغ أسمى مكانته وارفع منازله وذلك لأن الصــوم عبادة خفية لا يدخلها الرياء فتكون خالصــة لله تعالى، فالغاية المرادة من الصـــوم هي التقوى وهي نفس الغلية المرادة من العبادات المختلفة، وفي عبادة الصوم امتثال لأمر الله تعالى وإقرار بوجوده وتحقيق لهذه الغاية، وللصوم آثار تربوية عظيمة على الجانب النفسي والخلقي لدى شخصية المسلم، لأنه مدرسة روحية متخصصة في مجال الإصــلاح ومدرســة خلقية في مجال التربية والتهذيب، وسـنحاول الإشـارة إلى أهم تلك الآثار التي تؤدي الى بناء الشخصية السوية في النقاط التالية(٢٨):

١- الصدق: من الأمور الأساسية في الصوم حتى يكون مقبولاً عند الله أن يكون الصائم بعيداً كل البعد عن الكذب والزور وإلا فإن صيامه أصبح في دائرة الخطر، يقول النبي- صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))(٢٩)، وهذا الحديث يشير بوضوح أن على الصائم أن يحرص علا سلامة صومه من قول الزور والكذب وإلا فإنه خاسر لقبول هذه الشعيرة العظيمة، وهذا من أكبر الوسائل الفعالة في تربية المسلم على الصدق في أقواله وأعماله وكل تصرفاته.

٢- التربية على الصبر وتحمل الأذى: شهر رمضان أوجب الله علينا صيامه، فهو شهر الصبر عن المعاصي والصبر على الشهوات والصبر على الطاعات، ذلك أن الصوم عبارة عن مجاهدة للنفس وتحمل للجوع والعطش، وكف عن الشهوات، فيتعود المؤمن الصبر عن الحرمان في

الخطوب والملمات وعدم الاكتراث بملذات الحياة وشهواتها العابرة، وهذه الصفات لازمة للإنسان لاحتمال مشاق الحياة ومجابهة مغرياتها واستحقاق تحمل مسؤولياته(٣٠).

٣- تنمية الجود والكرم: للصيام فوائد كثيرة لها آثارها على شخصية الفرد المسلم ومن هذه الآثار تنمية الجود والكرم، أن المرء إذا عضه الجوع وأظمأه العطش وحلت به المشقة شعر بآلام الفقراء والمساكين وأحس بما يعاني به الذين لا يملكون من طعام الدنيا ما يقيم أودهم ويشبع جوعهم ويسد رمقهم، وشهر الصوم مدرسة للمسلمين يدفعهم إلى تحقيق الإيمان في قلوبهم وتحقيق معاني التكافل الاجتماعي في مجتمعهم وإلى تنمية الجود والكرم لديهم، وقد جعل الله ثواباً عظيما لمن يفطر صائماً، ولهذا الصوم من أقوى الوسائل دفعاً للصائم إلى البذل والاتصاف بالجود والكرم نحو إخوانه(٣١).

٤- التقوى: من نتائج الأثر السلوكي للصوم أن الصائم يدرك ويحس أثر ثمرة التقوى في سلوكه مع نفسه وتعامله مع الآخرين، ومن يمعن النظر في آية البقرة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ البقرة: ١٨٣ ، التي أشارت إلى التقوى بأنها الحكمة من فرض الصوم يدرك أن للصوم بصمات واضحة وثمرة ملموسة في شخصية المسلم.

٥- ترسيخ مبدأ الرغبة في العمل الصالح: من ينظر في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجد أن من آثار الصوم التربوية لبناء الشخصية هو تكوين وترسيخ الرغبة لدى الصائم في العمل الصالح بجميع شعبه وفروعه والاتجاه الحسن قبل قيامه بالصوم، والصوم يربي المسلم على الرغبة الحقيقية الداخلية في إتقان العمل الموكل إليه والتهيؤ لأدائه أكثر من الاكتفاء بالجانب النظري، ومن لمس آثار الصيام التربوية أقبل على الخير وكف عن العمل المذموم.

٦- تنقية الروح من الشوائب: للصيام أثر واضح في تنقية الروح من كل الشوائب، وأنه يكسر حدة الشهوة ويجعل النفس مصرفة لشهواتها بحسب الشرع، وللصوم أثر تربوي بارز في دفع الطغيان النفسي والتهيج الفسادي الضال، فهو مدرسة روحية تركز على الإصلاح الداخلي وتنقية النفس من الشوائب الدخيلة عليه وتوجيه للسلوك الفردي والجماعي.

٧- تقوية الإرادة والهمة: من أبرز آثار الصيام لبناء الشخصية السوية، إمداد المسلم بقوة الإرادة وشحذ العزيمة، فالصوم يقوي الإرادة ويشحذ العزيمة ويعلم الصبر ويساعد على صفاء الذهن وتقاد الفكر وإلهام الآراء الثاقبة إذا تخطى الصائم مرحلة الاسترخاء وتناسى ما قد يطرأ له من عوارض الارتخاء والفتور أحياناً، وعندما يمتلك الشخص قوة الإرادة يستطيع أن يقول للمنكر هذا منكر، ويستطيع أن يواجه كل سلبية من سلبيات المجتمع ويكون عضواً فاعلاً فيه يبني ولا يهدم ويعمر ولا يدمر(٣٢).

٨- تهذيب المنطق والكلام: فحينما يدرك الصائم أن الكلام السيء سيفسد عليه صيامه ويجعل حظه منه الجوع والعطش فحسب دفعه ذلك إلى تهذيب منطقه وكلامه فلا يقول إلا خيراً، ولا ينطق إلا بما فيه رضوان الله تعالى، لأن الصوم الكامل هو الذي صام صاحبه عن المفطرات الحسية والمعنوية، ويحث المسلم على مكارم الأخلاق وكف الأذى، حيث رباه الصوم على قول الحق والخير والصدق أو الصمت، وكذلك كرم النفس وحسن الطبع والصفح عن المسيء.

٩- تقوية مبدأ الحرية ودقة الرقابة وضبط النفس: الصوم وسيلة اختبار لحرية المسلم الصادقة التي يتمتع فيها من غير رقابة خارجية عليه تزاحمه وتطارده بل هو في سعة من أمره لا رقيب عليه إلا الله ثم نفسه، لأنه عبادة سرية بين الخالق والمخلوق، ودليل على نجاح العبد في ممارسة الحرية من غير رقابة خارجية عليه، ومن مظاهر تقوية الحرية ودقة الرقابة وضبط النفس التغلب على العواطف والعادات ذلك أن الصوم يهيء النفس للقيام بالعبادة ويجعله يتغلب على العواطف والعادات التي يعيشها سائر العام، ويحصل على قدرة التحمل التي تساعده في التغلب على الشهوات.

١٠- تذكر النعم وشكرها مع مراجعة النفس: للصوم آثار عظيمة ولعل من أهمها التجديد والمراجعة المتمثلة في التوبة والعودة إلى الله سبحانه وتعالى، ويستفيد الصائم الذي بدأ بمراجعة نفسه وسلوكياته وكل تصرفاته الإكثار من ذكر الله والاستغراق في تعظيمه وتقديسه وهو أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لسعادة الآخرة؛ ومن الآثار المهمة التي يستفيدها الصائم التائب التذكر لتعداد نعم الله في الدارين، إذ نعمته بلذاذة هذه العبادة عاجلاً يتذكر حال أهل النار آجلاً، ومآل أمرهم من الجوع والعطش، فيحدوه ذلك على كثرة الشكر والاجتهاد في الطاعة[٣٣]، وكذلك الصوم وسيلة إلى شكر النعمة، إذ هو كف النفس عن الأكل والشرب والجماع، وإنها من أجل النعم، وبالامتناع عنها يعرف قدرها، إذ النعم مجهولة، فإذا فقدت عرفت، فيحمله ذلك على قضاء حقها بشكر النعم، وإليه أشار الرب سبحانه وتعالى بقوله في آية الصيام: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ البقرة: ١٨٥

١١- سبب للوقاية من الجرائم الخلقية عند تعذر الزواج: فقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))[٣٤]، وفي هذا الحديث ما يدل على أن الزواج معين على العفة وصون الجوارح عن الفواحش، كما نجد أن الحديث يقدم حلاً تعبدياً لهؤلاء الذين لا يتوافر لديهم القدرة على الزواج وهو الصوم كي يستطيع الفرد السيطرة على دوافعه دون الشعور بالكبت.

المطلب الثالث: أثر الزكاة في بناء الشخصية:

الزكاة ركن من أركان الإســـلام، فرضـــها الله تعالى حقاً واجباً في مال الغنى، وهي واجبة على كل قادر عليها كوجوب الصـــلاة، وقرنها الله تعالى في آيات كثيرة في القرآن الكريم بالصـــلاة، فقال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ البقرة: ٤٣، لأهمية الكبيرة للزكاة جعلها الله تعالى أحد أركان الإســـلام الخمســـة فلا يتم إسلام الفرد وإيمانه إلا بتأديتها، ولهذه الفريضة أثركبير على حياة أفراد المجتمع سواء الأغنياء أم الفقراء، كما أن أثرها الأكبر ينعكس على المجتمع كله، والآثار التربوية كثيرة جداً للزكاة- يصعب حصرها- على بناء الشخصية وهنا نشير إلى بعض منها:

١- تطهير النفس من الشح والبخل: إن حب المال والبخل به يؤدي إلى الانصراف عن عبادة الله والامتناع عن الزكاة، والمحافظة عليها تطهر المعطي من رجس البخل والشح، ومن رجس الرذائل الاجتماعية التي مثار التحاسد والعدوان، وهكذا يعالج حب الشهوات بالقناعة والإنفاق وإنما طهارته بقدر بذله وفرحه بإخراجه، ومن حكمة الله تعالى في تشريع الزكاة أنه لم يأمر الناس أن يبذلوا الكثير من أموالهم في الزكاة، بل أمر بإخراج القليل كراهة أن يبخل الناس لعلمه سبحانه وتعالى بشح نفوسهم فطرة وخِلقة، وهذا من يسر الإسلام في التكاليف الشرعية، وهذا الإنفاق في سبيله سبحانه يرجع ثوابه إلينا وتطهر قلوبنا من البخل والشح، وبهذا العلاج الإلهي نعرف مدى الحكمة في إيجاب الزكاة وأن الإسلام عمل على إزاحة عوائق البخل التي تعترض مشاعر الخير في النفس البشرية[٣٥].

٢- تدريب النفس على الإنفاق والعطاء: الزكاة تدريب النفس على خلق البذل والإعطاء والإنفاق، ومن الأمور التي تساعد الإنسان على البذل والإعطاء وتدربه على الإنفاق تنوع أبواب الخير ومجالات الإنفاق، فهناك باب الزكاة المفروضة وباب الصدقات التطوعية وباب الكفارات ونحوها ففي تنوع الصدقات إعانة للمسلم على الإنفاق والعطاء، وبذلك يتعود الإنفاق ويصبح الإعطاء والبذل صفة من صفاته[٣٦].

٣- الترغيب في كسب المال الحلال: الزكاة تحث المسلم إلى تقوى الله في كسب المال الحلال الطيب والابتعاد عن الكسب الحرام مما يدفعه إلى الحرص على كسب ماله من الوجوه المشروعة، والحرص على ألا يختلط مطلقاً بالحرام، لأن الله لا يقبل إلا طيباً، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ البقرة: ٢٦٧، ولهذا فالزكاة تعتبر ضوابط للسلوك الإنساني خاصة فيما يتعلق بطرق كسب المال وإنفاقه[٣٧].

٤- تعالج النفس من الحسد والحقد والبغضاء: الزكاة تطهر قلب المسلم من داء الحسد والحقد الذي قد ينشأ في نفس الفقراء نحو الأغنياء، لأن الفقير أو صاحب الحاجة إذا عاش في مجتمع يرى فيه الأغنياء من حوله يتنعمون بالأموال ويشحون على فقرائهم ولا يخرجون حقوقهم من هذه الأموال، فقد يمتلئ قلب الفقير بالغضب والحقد والحسد على هؤلاء الأغنياء بل قد يتمنى زوال أموالهم، ولكن عندما ينال الفقراء والمساكين نصيباً من أموال الموسرين سواء عن طريق الزكاة أو الصدقة فإن نفوسهم ترضى وقلوبهم تطمئن تخلو صدورهم من الحسد والغل، ويتمنون لهم الخير ويرجون لأموالهم النماء ويدعون لهم بالبركة، لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، فتسود روح المحبة والإخاء في المجتمع.

٥- تحفظ كرامة الشخص: الإسلام يحذر المتصدق من إهانة الفقير أو إذلال المحتاج أو الامتنان عليه لأنه إنما يأخذ حقه المعلوم ونصيبه المقسوم، ولذلك ندب الإسلام إلى إخفاء الصدقة ودفعها سراً للمحتاجين حفظاً لكرامتهم من جهة، ومنعاً للاختيال والرياء والعجب من جهة المتصدق، كما حذر الفقراء والمساكين من الإلحاح في المسألة وأوصاهم بالتعفف عنها والرضى والقناعة بما قسم الله تعالى، فكل هذا يساعد المسلم على حفظ كرامته سواء كان معطيًا للزكاة أم كان آخذاً لها(٣٨).

٦- تربية النفس على اليقظة والوعي والمراقبة الذاتية: إن تربية الضمير على الصدق والإخلاص واليقظة والأمانة مهم جداً للفرد والمجتمع، بل هو أساس كل الفضائل الفردية والتعامل الاجتماعي وهو مرتبط مباشرة بالإيمان بالله عز وجل، ولذلك وصف الله تعالى دافعي الزكاة والمتصدقين بأنهم من الصادقين مع الله عز وجل ومع أنفسهم، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ البقرة: ١٧٧، فمجتمع الزكاة عندما يعتقد ويؤمن بأن الله يراه، وأنه محاسب على أعماله وتصرفاته ومنها المالية عندها نجده يقظ الضمير واعي المسؤولية يراقب أمواله كلها ويخلص النية في إخراج زكاة أمواله ويتحرى عن مستحقيها بنفسه ويلتزم بأدائها في وقتها، دون أن يطالبه أحد أو يتابعه أحد لأنه صادق مع الله عز وجل فهو الرقيب على نفسه، وفي هذا تربية للنفس على الصدق واليقظة والوعي وتربية الضمير ومراقبة الله في السر والعلن وكذلك المراقبة الذاتية، فالصدقة تطالبه بأن لا يخالف مقاصد الشرع في هذه الفريضة والعبادة المالية.

٧- الزكاة تدريب على النظام والانضباط: المسلم الملتزم لن يؤدي زكاته إلا بعد أن يعرف أحكامها وأموالها ومستحقها ووقتها وغير ذلك مما تدعوا الحاجة إليه، وعلى هذا فإتاء الزكاة تلجئ الإنسان إلى معرفة حدود الله تعالى وشرائعه، وتدربه على النظام والانضباط، وبذلك يتعلم النظام ويكون عمله صواباً فلا يضع الزكاة في غير موضعها الشرعي، ويتعلم كيف يضبط حساباته وينظمها، كما يضبط مدخراته واستثماراته لتكزن أساساً سليماً لحساب زكاته وصدقته، فالضبط والنظام قيمتان مرغوبتان في ذاتهما، ولما تلعبانه من دور مهم في الرقي بالفرد والنهوض المجتمع.

٨- تعمل على رقة القلب والتعرف على الفقراء والمساكين: إن رقة القلب ورهافة المشاعر تأتي من معرفة الفقراء والمساكين وأحوالهم المؤلمة ومشاهدتها على الطبيعة، فالزكاة تقرب المسافة بين الأغنياء والفقراء وتكسر الحواجز الاجتماعية والنفسية بينهم، وعندها يتكون الرفق بهم، والعطف عليهم، لإحساسه بهم فيمتلئ القلب بالشفقة وعواطف الرحمة والمودة، فعلاج قساوة القلب تأتي بالمداومة على الإحسان إلى اليتامى والفقراء والبر بهم وكفالة عيشهم، وتحس أحوال الفقراء والمساكين ومشاركتهم في المعيشة [٣٩].

٩- تحقيق الأمن الفكري: الزكاة تعد وسيلة فعالة من وسائل توزيع الثروة بين أفراد المجتمع على أساس العدل التام، حيث تؤخذ الأموال من أغنياء المسلمين فترد على فقرائهم، فالزكاة حققت الأمن الفكري من خلال أنها سدت على المروجين للأفكار المنحرفة استغلال شباب الأمة من خلال أمرين:

الأول: أنها سدت عليهم استغلال حاجات الشباب وفقرهم بإغرائهم بالمال كنقطة ضعف لإقناعهم بأفكارهم المتطرفة، وتسخيرهم واستخدامهم لبث أفكارهم المسمومة بين أفراد المجتمع.

الثاني: أنها سدت عليهم استغلال ما في قلوب الشباب من كره وحقد على الأغنياء، لأن الزكاة تخرج الأضغان من قلوب البائسين وتذهب حقدهم على الأغنياء المترفين، وتملأ قلوبهم بمحبتهم، وبذلك يسود الأمن بجميع أنواعه بما فيه الأمن الفكري[٤٠].

المطلب الرابع: أثر الحج في بناء الشخصية.

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وأحد أجل العبادات التي افترضها الله تعالى على عباده، ووجوبه على المستطيع ومكانته وفضائله كل هذا من الأمور المعلومة من دين الله بالضرورة، وللحج مقاصد وحكم ومنافع كثيرة، كلها داخل في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ الحج: ٢٧ – ٢٨ ، وهذه المنافع منافع دنيوية وأخروية، ويدل عليه ورود كلمة (منافع) نكرة، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "إنه سبحانه وتعالى ذكر المنافع

بلفظ نكرة، والتعبير بالنكرة يدل على أنها منافع عظيمة لا يقدر قدرها ولا تدرك نهايتها للناس، ونرى أن هذه المنافع مادية ومعنوية وعبادية"(٤١)، وهنا نشير إلى بعض تلك الآثار فيما يتعلق بموضوع بحثنا – التي تؤدي إلى بناء الشخصية المسلمة– على سبيل المثال لا الحصر:

١– حصول التقوى: وقد أكثر الله تعالى في آيات الحج على قلتها من وصيته لعباده بالتقوى، لأنه يحصل في الحج من أسباب التقوى ما لا يحصل لغيره، وذلك مع الوعي الصحيح لحقيقة الحج ومغزاه، ولهذا نجد الله يخاطب الواعين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ البقرة: ١٩٧ ، أكثر الله فيه من وصية عباده بالتزام التقوى في أداء كل شعيرة من شعائره، حتى يرجع من حجه مغفوراً له، مع العلم أن هذا الغفران مشروط بالاستدامة على التقوى، حتى لا يحصل منه ما يدنس صحائفه، ويجرح شخصيته المتجددة بالحج(٤٢).

٢– تعميق مبدأ المؤاخاة والتعارف بين المسلمين: يطبق هذا المبدأ في الحج تطبيقاً عملياً، فهو مظهر عملي للأخوة الإسلامية، إذ يتم فيه أعظم تعارف بين شعوب العالم على أهون سبيل على بعد الشقة بين أقطارهم ورغم مشقة السفر، إلا أن الحج يجمع العالم الإسلامي في بقعة واحدة ليسهل أمر التعارف والتآلف بين المسلمين عن طريق تبادل الكلام وقراءة السلام والشعور بالهموم، ومن شروط هذه الفريضة أن لا كذب فيها ولا رفث ولا فسوق ولا نزاع، وبهذا تكون نظرة الجميع لبعضهم نظرة عطف ومحبة ومعاونة وإسعاف ووفاء حقيقي مجرد من كل نزعة شخصية(٤٣).

٣– توضيح جانب من دور القائد تجاه رعيته: توضح هذه الفريضة جانباً من دور القائد تجاه رعيته المتمثل بوجوب تفقد أحوالهم ومحاولة إبعادهم عن الوقوع في الخطأ والانحراف، وإرشادهم إلى طريق الحق والصواب، هذا التفقد الذي يعمق الصلة بين الراعي والرعية، ويزيد من أواصر المحبة والألفة بينهم، مما يساعد على تماسك أفراد الأمة مع بعضهم فيشعروا بلذة التواصل وفائدته، ويجب أن يكون التواصل بين الراعي والرعية قائماً على تلطف القائد بأصحابه والعناية بأحوالهم وتفقد شؤونهم فإذا رأى ببعض أتباعه ضرراً سأل عنه وأرشده إلى المخرج السليم كما فعل النبي– صلى الله عليه وسلم– مع أصحابه في موسم الحج.

٤– امتلاك الفرد مهارة حسن استثمار الوقت: الحج من الفرائض التي تحض المسلم على اغتنام الوقت وتأدية هذه الفريضة حال استكمال الفرد شروطها، وتمكنه من القيام بها دون تسويف أو تأجيل، وهذا يؤخذ من وجوب الحج على الفور عند جمهور الفقهاء، وحتى الذين قالوا بأن الحج على التراخي، وإن استوفى المسلم جميع شروطه ومستلزماته إلا أنهم قالوا بأنه إذا مات المسلم ولم يؤد هذه الفريضة وكان مستطيعاً فهو آثم، وفي هذا مدعاة للمسلم بأن يغتنم وقته ويؤدي الفريضة على الفور دون التراخي تجنباً للوقوع في الإثم، وفي كل شعيرة يؤديها الحاج يكثر

من الذكر والعبادات المختلفة، حتى في تعامله مع الآخرين وممارسته لجوانب الحياة يكون متطلعاً إلى إرضاء الله وبذلك تكون أوقاته كلها طاعة وإجابة لأمر الله، وهذا هو معنى استثمار الوقت بأن يسخر المسلم جل أوقاته لمرضات الله وطاعته دون غفلة أو كسل أو تراخٍ.

٥- التدريب على مهارة التنظيم: التنظيم سمة من سمات الشخص الناجح، إذ يعني التنسيق في الجهود الأنشطة المختلفة، ومن مظاهر التنظيم في هذه الفريضة أنه يستحب للحاج أن يؤمروا أحداً عليهم إذا كانوا مجموعة، وذلك لتحقيق التنظيم في العمل، والابتعاد عن الشقاق والخلاف مما يسهل أداء هذه الفريضة على الوجه الذي أراده الله عز وجل، وفي جميع أعمال الحج نجد التنظيم والترتيب الشرعيين في الأعمال المختلفة بشكل عام، مما ينمي هذا المبدأ في نفوس الحجاج ويثبته في الأذهان، إذا فالحج فريضة منظمة مرتبة الأعمال لم يترك فيها للفرد مجال بأن يؤديها وفق رغبته، بل نظمتها الشريعة الإسلامية، ورتبتها ضمن قواعد وخطوات، فهذه الفريضة هي تدريب عملي للشخص تحثه على التزام التنظيم والترتيب في شؤون حياته وتبعده عن الفوضى والاضطراب [٤٤].

٦- تربية الشخص على العمل وتحمل المسؤولية: الحج فريضة من شروط وجوبها على المسلم توفير الزاد والراحلة، وقضاء الديون، وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع، وأن يأخذ معه من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وإيابه، ويمكنه من بذل الصدقات في وجوه الخير المختلفة، ولتحقيق هذه الشروط لا بد من توفر المال، ولكي يتوفر المال لا بد من السعي والعمل ليستطيع الفرد المسلم أن يؤدي هذه الفريضة، ولأهمية العمل أباح الله عز وجل للحاج ممارسة التجارة أثناء تأدية هذه الفريضة، فجعل بذلك هذه الفريضة فرصة لكسب الرزق الحلال بجانب التعبد والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

٧- التربية على البساطة في العيش والصبر على فراق الأهل: البساطة في العيش والابتعاد عن كل مظاهر الإسراف يؤخذ هذا المبدأ من لباس الإحرام البسيط الذي لا يستر إلا العورة، وكذلك من طبيعة الحياة التي يعيشها الحاج أثناء هذه الفترة البعيدة عن معظم الكماليات، وكذلك الصبر على فراق الأهل والمال والبلد فيصبر بذلك على ما هو أعظم إذا تعرض للشدائد والصعاب فيتهيأ لمجابهة مغريات الحياة المحظورة[٤٥].

٨- الحج تربية مالية تتطلب من المسلم بذل الجهد والمال: الحج نوع من أنواع العبادات المالية التي تتطلب من المسلم بذل المال في وجوه الخير المتنوعة ليتمكن الحاج من أداء هذه الفريضة على النحو الذي أراده الشارع الحكيم، وفي هذا تطهير نفس الحاج وتحريرها من البخل، وتمكينها من السيطرة على نوازع التملك وفاعلية الشح، وتربي الحاج على البذل والعطاء، وتحثه على إنفاق الأموال في وجوه الخير الكثيرة، ولهذا لا يمكن أن تؤدى هذه الفريضة وفق الشرع إلا

بتوفير المال لدى الحاج وإنفاقه في الوجوه التي شرعها في هذه الفريضة حتى يتحقق المراد والمقصد من هذه الفريضة.

٩- التحلي بالأخلاق الفاضلة: من قاصد الحج التربي على الأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة والتحلي بجميل الخصال وكامل الآداب، والحج مدرسة مثلى للآداب والأخلاق يتربى فيه المسلم على الآداب الفاضلة، وحسن المعاملة، والبعد عن الإيذاء، والبعد عن الجدال المذموم والخصومة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴿١٩٧﴾﴾ البقرة: ١٩٧ ،ويربي المسلم على التخلق بالأخلاق الفاضلة والتحلي بالصبر والأناة، وحسن المعاملة، وطيب المعاشرة، وكلما استشعر الحاج هذا المقصد العظيم في الحج يرجع منه متأدباً بآداب الإسلام متحلياً بأخلاق الشريعة العظام(٤٦).

١٠- تربية النفس على تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي: يربي الحج في نفوس قاصديه كل المعاني الاجتماعية والتربوية، ففيه ترى التعاون والمواساة وحنو الغني على الفقير، ورحمة القوي على الضعيف، والكبير بالصغير، والكل متجرد من مظاهر الفوارق الطبقية الدنيوية، كالزينة والأوسمة والمناصب الدنيوية، فتذوب تك الفوارق ولو إلى حين فيستفيد الحجاج من دروسها العبر والتوجهات الاجتماعية والتربوية الفريدة، ومن مظاهر التكافل التي حث القرآن عليها في أيام الحج، الإطعام؛ وإشراك الفقراء البائسين، والمحتاجين من المساكين في طعام ما ينحر من لحوم الهدايا ليعبر تعبيراً واقعياً عن المواساة وتحقيق المساواة في الاعتبار البشري، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ الحج: ٢٨ (٤٧).

١١-تربية النفس على إشاعة الأمن: إن بيئة الحج تربي في نفسية وشخصية الحاج التربية السِلمية، حيث أن بقائه مدة أيام الحج وهو لا يؤذي حيواناً، ولا ينفر طائراً، ولا يقطع شجراً، ولا يفزع مخلوقاً، وحتى على نفسه يعطي لها الأمان، فلا يقطع ظفراً، ولا ينتف شعراً مادام محرماً، وحتى حصى الرمي لزم أن يكون صغيراً في حجمه يرمى بأصابع اليد دون شحذٍ وقوةٍ ومبالغة، وحتى في الأقوال حرم الجدال مخافة أن يستفحل الأمر ويجر إلى الأذى والخصومة والشجار، وفي هذا أبلغ مثال على التربية السِلمية التي ينبغي أن يعيش الإنسان بها حياته في أمن وأمان، وسِلمٍ وسلام مع من حوله من المخلوقات، وما حوله من الكائنات، وأن يظهر ذلك جلياً في كل شؤون حياته، بل وفي كل جزئية من جزئياته.

خاتمة البحث وأبرز نتائجها

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ففي هذه الخاتمة أستعرض أبرز النتائج التي رأيت أن أذيل بها هذا البحث؛ وكذلك بعض التوصيات المتعلقة بذلك:

١- إن مفهوم العبادة لا يقتصر على العبادة المخصوصة، بل العبادة بمعناها المطلق الشامل لكل أعمال الإنسان وأقواله الخاضعة لأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢- تظهر أهمية العبادة ومكانتها في أنها الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الخلق وأوجده، وقد ورد في البحث شيء من التفصيل في ذلك.

٣- قسم العلماء العبادة على عدة أقسام، من حيث عمومها وخصوصها، ومن حيث صحتها وعدمها، ومن حيث تأديتها ونفعها.

٤- لتكون العبادة عبادة لا بد لها من شروط وخصائص تجعلها مقبولة، وقد أشرنا إلى تلك الشروط في موضعها.

٥- العبادات الأربع: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج؛ لها ثمرات وآثار كثيرة – يصعب حصرها ويعسر نقلها– في إصلاح حياة فاعلها –على الوجه المطلوب شرعاً– وبناء شخصية صاحبها، أشار إليها الباحث إلى بعض منها في موطنها.

الهوامش والمصادر:

(١) ينظر: العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي: ط٢٤، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، ١٤١٦هـ، ص: ٢١٧.

(٢) ينظر: الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي: ط٢، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ، ص:٣٨٤.

(٣) ينظر: مقاصد العبادة في القرآن الكريم، ناصر يوسف عبد الله: مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع١٤، ١٤٣٤هـ، مج٧، ص: ٦ وما بعدها. مقاصد تشريع العبادات الأربع: الصلاة والزكاة والصيام والحج، مجلة البحث العمي في الآداب: إبراهيم طنطاوي إبراهيم، ع١٧، ٢٠١٦م، ج٣، ص: ٦ وما بعدها. الموسوعة العقيدة، إعداد مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي عبد القادر السقاف: موقع الدار السنية ٢٦٨/٧.

(٤) ينظر: العبادة في الإسلام وأثرها في الفرد والجماعة، د. علي عبد اللطيف منصور: ط١، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ١٤١١ه، ص: ٣٥ وما بعدها.الأساس في السنة وفقهها –العقائد الغسلامية سعيد حوى (ت١٤٠٩) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط/٢، ١٤١٢ه-١٩٩٢من ٦١٥/٢.

(٥) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه (١٩/١) واللفظ له، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي- صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، الحديث: ٥٠ (تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة- بيروت، ١٤٢٢هـ، ٩ج). ومسلم في صحيحه (٣٠/١)، كتاب الإيمان، باب: الإيمان ما هو وبيان خصاله، الحديث: ٩ (تح: أحمد بن رفعت حصاري وآخرون، د. ط، ١٣٣٤هـ، دار الطباعة العامرة- تركيا، ٨ج).

(٦) ينظر العبودية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ) ط٧، المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٢٦هـ: ، تح: محمد زهير الشاويش، ، ص: ٤٨.

(٧) ينظر: العبادة في الإسلام وعلاقتها بالتوحيد، محمد نبيل العمري: مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، ملحق: ١، ٢٠١٦م، مج ٤٣، ص: ٥٥٧.

(٨) ينظر: أثر العبادات في التربية والتهذيب، صلاح أحمد الطنوبي: ط١، مجلة التربية- مصر، ٢٠٠٨م، ص: ٥-٦.

(٩) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط٣ دار الكتاب العربي – بيروت، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، ١٤١٦هـ، ج١، ص: ١٢٥.

(١٠) ينظر: العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية، د. عبد العزيز بن عبد الرحمن المحيميد: ط١٠، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف- السعودية، ١٤٢٤هـ، ص: ٧١.

(١١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٦)، كتاب الأذان، باب: الدعاء قبل السلام، الحديث: ٨٣٤. وأخرجه مسلم في الصحيح (٧٤/٨)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، الحديث: ٢٧٠٥.

(١٢) الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ): دار

عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ، ص: ١٠٠.

(١٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) د. ط، ت، دار المعرفة – بيروت، ج٣، ص: ٣.

(١٤) ينظر: الأعمال المتعدية والقاصرة– قاعدتها وتطبيقاتها الفقهية–، مجلة العلوم الشرعية: د. عبد المجيد بن صالح المنصور، ع٦٢، ١٤٤٣هـ، ص: ١٩٩ وما بعدها.

(١٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ): د. ط، دار الفكر– بيروت، ١٤١٥هـ، ج٢، ص: ٤٤٠.

(١٦) البحر المحيط في أصول الفقه أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، د. ط، دار الكتب العلمية– لبنان، ١٤٢١هـ، ج١، ص: ٢٨١.

(١٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المصدر السابق محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ج٢، ص: ٩١.

(١٨) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١)، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، الحديث: ١. ومسلم في صحيحه (٤٨/٦)، كتاب الأمارة، باب: قوله– صلى الله عليه وسلم–: "إنما الأعمال بالنية"، الحديث: ١٩٠٧ من حديث عمر بن الخطاب– رضي الله عنه–.

(١٩) أخرجه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم (٧٥٣/٢)، كتاب البيوع، باب: النجش، ووصله في الصلح (٩٥٩/٢)، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، الحديث: ٢٥٥٠، ومسلم في صحيحه (١٣٢/٥)، كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، الحديث: ١٧١٨.

(٢٠) ينظر: العبادة: تعريفها– أركانها– شروطها– مبطلاتها، د. ط، ت، دار القاسم– السعودية، سليمان بن محمد العثيم: ص: ٤١ وما بعدها.

(٢١) ينظر: أثر الصلاة على الحياة، ط١، د. صلاح محمد أبو الحاج: مركز أنوار العلماء للدراسات– الأردن، ١٤٤١هـ، ص: ٤٠، ٥٥.

(٢٢) المرجع نفسه، ص: ٣٥، ٥٢.

(٢٣) ينظر: فقه العبادات بادلتها في الإسلام، ط٤، حسن أيوب: دار الإسلام، القاهرة– مصر، ١٤٢٨هـ، ص: ٩٣ وما بعدها.

(٢٤) ينظر: وسائل تحقيق الأمن الفكري من خلال الأحكام الشرعية– العبادات والمعاملات نموذجاً–، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور د. محمود مسعود شيبه نصار، ع٤، ٢٠١٩م، ج١، ص: ١٠٠٥.

(٢٥) ينظر: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، ط٥، د. علي محمد الصلابي: دار المعرفة، بيروت– لبنان،١٤٣٠هـ، ص: ١٩٣– ١٩٤.

(٢٦) ينظر: أثر عبادة الصلاة للوقاية من الجريمة، رسالة الماجستير، كلية الدراسات العليا– قسم العدالة الجنائية– ، يحيى بن نصير السرحاني: ٢٠٠٥م، ص: ١١١.

(٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٧٣/٢)، كتاب الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شتم، الحديث: ١٨٠٥.

(٢٨) لإعداد هذا المطلب استفدت كثيرا – بتصرف مع زياداتي– من رسالة ماجستير للطالب: علي مصلح

المطرفي، بعنوان: أثر الصوم في تربية شخصية المسلم، قدمت لكلية التربية – قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، ١٤١٥هـ.

(٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٧٣/٢)، كتاب الصوم، باب: من لم يدع قول الزور، والعمل به الصوم، الحديث: ١٨٠٤.

(٣٠) ينظر عبادات الإسلام فقهها وأسرارها: محي الدين مستو، ط١، دار ابن كثير- دمشق،١٤١١هـ، ص: ١٥١.

(٣١) ينظر: أثر الصوم في تربية شخصية المسلم، المرجع السابق، علي مصلح المطرفي، ص: ١٥٩ وما بعدها.

(٣٢) ينظر: الصيام، عبد الله بن محمد أحمد الطيار د. ط، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، ١٤١٣هـ، ص: ٥٦.

(٣٣) ينظر: مدارك المرام في مسالك الصيام، د. قطب الدين القسطلاني(ت: ٦٨٦هـ)، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٤٨هـ، ص: ٧٥.

(٣٤) رواه البخاري في صحيحه (١٩٥٠/٥)، كتاب النكاح، باب: من لم يستطع الباءة فليصم، الحديث: ٤٧٧٩، ومسلم (١٢٨/٤)، كتاب النكاح، باب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، الحديث: ١٤٠٠.

(٣٥) ينظر: التوجيهات التربوية لفريضة الزكاة وأثرها على الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير، كلية التربية- قسم التربية الإسلامية والمقارنة-، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، محمد بن جمال الدين بن أحمد الخوتاني: ١٤١٨هـ، ص: ٨٣ بتصرف.

(٣٦) ينظر: الزكاة وأثرها التربوي، رسالة الماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- قسم التربية في الإسلام-، جامعة اليرموك، رقية سعيد علي محمد: ١٤١٧هـ، ص: ٩٤ بتصرف.

(٣٧) ينظر: التوجيهات التربوية لفريضة الزكاة وأثرها على الفرد والمجتمع، المرجع السابق، محمد بن جمال الدين بن أحمد الخوتاني: ص: ٨٧ بتصرف.

(٣٨) ينظر: التوجيهات التربوية لفريضة الزكاة وأثرها على الفرد والمجتمع، المرجع السابق، محمد بن جمال الدين بن أحمد الخوتاني: ص: ١٠٧ وما بعدها بتصرف.

(٣٩) المرجع نفسه، ص: ٩٥- ٩٦ بتصرف.

(٤٠) ينظر: وسائل تحقيق الأمن الفكري من خلال الأحكام الشرعية- العبادات والمعاملات نموذجاً-، المرجع السابق، د. محمود مسعود شبيه نصار: ص: ١٠٠٩- ١٠١٠.

(٤١) زهرة التفاسير، د. ط، ت، دار الفكر العربي- بيروت، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ): ج٩، ص: ٤٩٧٣.

(٤٢) ينظر: الحج أحكامه- أسراره- منافعه، ط١، عبد الرحمن محمد الدوسري: دار إشبيليا للنشر والتوزيع- السعودية، ١٤٢١هـ، ص: ٥٨ وما بعدها.

(٤٣) ينظر: فريضة الحج وأبعادها التربوية، رسالة الماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم أصول الدين- برنامج ماجستير التربية في الإسلام، جامعة اليرموك، هدى محمد كايد الهامي: ١٤١٨هـ، ص: ٨٥- ٨٦.

(٤٤) المرجع نفسه، ص: ٧٣- ٧٥ بتصرف.

(٤٥) المرجع نفسه، ص: ٦٠ بتصرف.

(٤٦) ينظر: مقاصد الحج، د. ط، ت، دار الفضيلة للنشر والتوزيع- السعودية، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: ص: ٦٧- ٦٩.

(٤٧) ينظر: شهود منافع الحج من خلال القرآن الكريم، بولقصاع محمد مجلة دراسات لجامعة الأغواط، ع٣٤، ٢٠١٥م، ص: ١٢- ١٣.